

بينهما وعلى ذريتهما ، وقبر مريم عليها السلام في كنيسة في داخل جبل الطور. تسمى الجيسمانية وهو مكان مشهور مقصود للزيارة من المسلمين والنصارى والكنيسة من بناء هيلانة أم قسطنطين . أما الرديان والديون فيذكر منها وادي التمل بين بيت جبرين وعسقلان ، ولا يذكر وادي النصور وهو بظاهر القدس من جهة الغرب يسير فيه الآن القطار المساعد من الرملة إلى القدس وقد دفن فيه القبط الكبير بدر الدين ابن محمد من أولاد سيدنا علي ابن أبي طالب توفي (٦٠٥ هـ) وأولاده (بشرقات) وكانت تعرف « بشرقات » فلما انتقل إليها الأشراف أولاد أبي الوفا غيروا اسمها .

وقد ذكر من النيون ، عين البقر وهي قرب عكا ، يزورها المسلمون والنصارى واليهود ، وعليها مشهد ينسب إلى علي ابن أبي طالب (معجم البلدان ٦ - ٢٥٣) .

وعين الجالوت ، وهي بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس استولى عليها الصليبيون ، واستنقذها منهم صلاح الدين سنة (٥٧٩ هـ) معجم ٦ - ٢٥٤ . ولم يذكر بانقوت أن التار هزموا بها ، لأن الوقعة كانت بعد وفاته . أما عين حلوان فهي في ربض بيت القدس تحتمها عين عذبة تدعى جناحاً عظيمة وقها عثمان بن عفان مل ضمناه البلدة (المخدمين) .

(ولا يزال منهم نقر بها) .

أما الحسبون والقلاع فيذكر منها « الجيب » ويقول هي حصنان يقال لهما الجيب التوقاني والجيب التحتاني بين بيت المقدس ونابلس وهما متقاربان (معجم البلدان ٣ - ١٨٦) وقع الجيب إلى عين السالك من رام الله إلى القدس .

ومنها حصن المنب ، وهو من أرض بيت المقدس واسمه الآن قرية « المنب » أو « أبو غوش » وأبو غوش هي عائلة إقطاعية تسكن هذه القرية ، وكانت في العهد الصليبي تسمى من زوار بيت المقدس جسلاً مقابل خمر الطريق ، وفيها عين ماء ذكرها الرحالة ناصر خسروی الذي زار بيت المقدس في سنة (٤٣٨ هـ) وفيها أكثر من دير .

ويذكر حيفا فيقول إنها حصن على ساحل بحر الشام قرب باقة ، لم يزل بأيدي المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفوى الذي ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبق في أيديهم إلى أن فتحه

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

(تمة)

وقد بنى على هذا الدير الملك العظيم عيسى بن الملك العادل الأيوبي قلعة حصينة وأفق عليها الأموال الجمة وأحكمتها غاية الأحكام . فلما كان في سنة ٦١٥ هـ وخرج الإفرنج من وراء البحر طالبين لبيت المقدس أمر بخرابها حتى تركها كأس للبار والتحق (سور) البيت المقدس بها في الخراب فهما إلى هذه الغاية خراب (القرن السابع) . معجم البلدان (ج ٦ - ٦٧)

وهناك طوران آخران أولهما الجبل المشرف على نابلس ولهذا يمجبه السامرة . والثاني طور زيتا أو « جبل الزيتون » وهو مشرف على المسجد الأقصى ، وبينهما وادي جهنم ، وفيه سلى عمر بن الخطاب . وفي الأناضول الجليل ج ١ - ٢٥٨ أن أم الخير ربيعة بنت إسماعيل المدرية البصرية^(١) المالحة الشهورة (من أميان مصرها في القرن الثاني) وقبرها على رأس جبل طور زيتا شرقي البيت المقدس ، بجوار محمد موسى عليه السلام ، وهو في زاوية يتزل إليها من درج .

ويقول في ج ٢ - ٤١٠ عن أبي هريرة : أقسم ربنا باليتين والزيتون ، والزيتون طور زيتا . واليتين مسجد دمشق . وعن صفية زوج الرسول أنها قدمت القدس فصلت به ، وصعدت إلى طور زيتا وصلت وقامت على طرف الجبل وقالت « من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار » ومن هذا الجبل سعد عيسى عليه السلام ، وعلى رأسه كنيسة من بناء هيلانة في وسطها قبة . ولما فتح صلاح الدين القدس سنة (٥٨٣ هـ) وقف أرض طور زح على الوالي الصالح ولي الدين أبي السباس أحمد الحكاري ، وعلى الإمام الزاهد أبي الحسن الحكاري ، سوية

(١) وفي تولد أنها دلت بالبصرة

صلاح الدين سنة (٥٧٣ هـ) وخرجه .

وفى تاريخ دمشق ذكر لإبراهيم بن محمد بن عبد الرازق أبو طاهر الحافظ الحليق من أهل قصر (حيفا) سمع بأطرابلس (طرابلس) وحدث بسرد سنة (٥٨٦ هـ) . (معجم البلدان ج ٣ - ص ٢٨٢) . ثم بقول تحت اسم «قصر حيفا» موضع بين حيفا وقيسارية ينسب إليه أبو محمد عبد الله القيسراني القصري سكن حلب وكان مفتياً . تفقه بالراق بالمدرسة النظامية (أسسها نظام الملك سنة ٥٩ هـ) على أبي الحسن الهراسي ، وأبي بكر الشيباني الخ وارتحل إلى دمشق وعمل بها حائفة المناظرة وانتقل إلى حلب فبنى له ابن المعجم بها مدرسة درس بها إلى أن مات سنة (١٥٤٤ هـ) . (معجم البلدان ٧ - ١٠٠) .

ويطلق ياقوت على «قصر حيفه» بالماء ، وأنا أحسبه المذكور قبله أي حيفا فيتبرهما مكاناً واحداً .

ومن الحصون الأخرى الخروبة وهو بسواحل بحر الشام مشرف على عكا ، وقد جاء ذكره أكثر من مرة في حرب صلاح الدين للصليبيين حول عكا . ومنها الداروم ، قال ابن الكلبي قال الشرق نزل بنو حام بحري الجنوب والدبور ويقال لثلك الناحية الداروم ، تجمل الله فيهم السواد والأدمة ، وأمر بلادهم وسماءهم وجرت الشمس والنجوم من قوةهم ورفع عنهم الطامعون ، والداروم قلعة بند غزاة للقائد إلى مصر والواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ وقد خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة ٥٨٤ هـ وينسب إليها الخمر . قال إسماعيل بن يسار :

ياربع رامة بالبياء من ريم هل ترجمن إذا حيت تسليمي
سابل حى غدت بزل الملى بهم تحدى لفرقتهم سيراً بتفجيم
كأننى يوم ساردا شارب غلت فؤاده قهوة من نحر داروم
إنى وجدك ما عودى بنى عخور

عند الحفاظ ولا حوضي بهدم

وغزاها المسلمون في سنة ثلاث عشرة وملكوها قتال زياد

بن حنظلة .

ولقد شق نفسي وأبزا سقمها شد الخيول على جوع الروم
يضر بن سيدهم ولم يهلهم وقتلن فدهم إلى داروم

ويقال لها الدارون أيضاً ، وينسب إليها على هذا اللفظ

أبو بكر الداروني روى عن عبد المرز المطاز عن شقيق البلخي روى عنه أبو بكر الدينوري بالبيت المقدس سنة (٣٠٨ هـ) . (معجم البلدان ٤ - ١٣) .

ومن الحصون الساحلية وهو اسم قلعة حصينة قبل بيت المقدس والطارون (الطارون) وهو حصن بين بيت المقدس والرملة ، فتحه صلاح الدين سنة (٥٨٣ هـ) ، وفيه عين ماء ، وهو قرب باب الواد ويصير من الحصون المسيطرة على طريق يافا بيت المقدس . ومن الحصون الشهيرة عنيت «عنات» وهو في سواحل الشام (جنوبي حيفا) ويرف بالحمن الأحمر ، فتحه صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (معجم البلدان ٦ - ١٢٢) .

ومنها أيضاً فقراء وهو حصن قرب بيت المقدس ويصير ياقوت «الغرفة» بلاد ويقول أنها بفسطاطين من نواحي فلسطين (معجم البلدان ٦ - ٤٠٥) أما الأنا الجليل فيقول أنها كانت من أحسن الحصون ، وفيها من السدد والأموال الثنى الكثير ، وأب الأفرنج كانوا يتجمعون بها . وفتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (الأنا الجليل ج ١ - ٢٨٨) .

ومن الحصون في الساحل بين حيفا ويافا ، «قافون» . ويقول عنه ياقوت أنه قرب الرملة ، وقيل أنه من عمل قيسارية ، ومنها أبو القاسم القاقوني أمام مسجد الجامع بقيسارية روى عنه سلامة الجدل ، ومنها شبل أبو القاسم للصويبي القاقوني سمع بدمشق وروى عنه أبو الفتيان الدهشاني . (معجم البلدان ٧ - ٤١٦) وكانت قاقون على طريق القوافل الواردة من الجنوب مارة بالرملة ، بجلجولية ، قلنسوة قاقون ، فالجوج فرج بنى طامس فيسان فمستق ، أو من اللجون جنوباً . وقد جاء ذكرها في حملة نابليون في أواخر القرن الثامن عشر .

وإلى الجنوب من قاقون (قلنسوة) وقد ذكرها ياقوت وقال فيها أنها حصن قرب الرملة وقد قتل بها طامس بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان ، وعمر بن أبي بكر وعبد الملك وأبان ومسلخ بنو طامس وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان ويزيد ومروان وأبان ومجد العزيز والأصح بنو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، حملوا من مصر إلى هذا الرضع وقتلوا فيه مم فيرم من بني أمية

ثم هزموا وتفردوا وقتل المسلمين منها خلقاً واستشهد من المسلمين
عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وعكرمة
ابن أبي جهل والحارث بن هشام^(١) . وأبى خالد بن الوليد
يومنذ بلاء مشهوراً وانتهى خبر الواقعة إلى هرقل فهرب من
حرس إلى إنطاكية وكانت سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبي بكر
بنحو شهر فقال زياد بن حنظلة :

و نحن تركنا أرطون مطرباً إلى المسجد الأقصى وفيه حصور
عشيرة أجنادين لما تبايخوا وقامت عليهم بالمرء نصور
عطفناه تحت العجاج بطنة لما نشج نأى الشهيد غزير
فطمنا به الروم المريضة بسده عن الشام أدق ما هناك شطير
فولت جموع الروم تتبع إره تكاد من الدمع الشديد تطير
رفود مصرعى في للكر كثيرة وعاد إليه القتل وهو حسير
وقال كثير بن عبد الرحمن :

إلى خير أحياء البرية كلها لى رُحِم أو خلة متأمن
له عهد ود لم يكدر بريبة . وقوال معروف حديث ومزمن
وليس أمرؤ من لم ينل ذلك كأمري

بنا نسجه فاستوحب الرقد عمن
فإن لم تكن بالشام دارى مقيمة فإن بأجنادين كنى وسكنى
منازل صدق لم تنير وسومها . وأخرى ببيافارقين فووزن
(معجم البلدان ج ١ - ١٢٦) .

وأما «حطين» فكانت فيها الواقعة الفاسدة بين صلاح الدين
والأفرنج سنة (٥٨٣ هـ) وهي قرية بين طبرية وعكا ، يلترب
سها قرية يقال خيابة ، وذكر المحافظان أن حطين بين أرسوف
وقيسارية ، وهو غير الذى عند طبرية وإلا فهو غلط منهما .

ونسب المحافظان إليها أبا محمد هياج الحطيني الزاهد نزيل مكة
سمع من كثيرين منهم أبا أحمد التيسرانى . وسمع منه جماعة من
الحفاظ منهم محمد بن طاهر المقدس وأبو القاسم هبة الله الشيرازى

(١) فى شير الترام أن الصحابة الذين استشهدوا بأجنادين منهم ،
أبان بن سعيد بن العاص ، والحجاج بن الجارث ، وخالد بن سعيد بن العاص
وحصين بن عمر الحميرى ، ونسيم بن عبد الله التميمى ، وهبل بن سفيان
الجزوى ، وسلة بن هشام الجزوى ، وطبيب بن محمد ، وهبة الله بن
السوى ، وهبة الله بن الأثرى ، وهبة الله بن عمرو الحميرى ، وغيد الله
ابن سفيان ، وأبو عبيدة بن ممرارة الجزوى وعفام بن العاص .

(معجم البلدان ٧ - ١٥٢) .
ومن الحصون ، (كرمل) ، وهو حصن على الجبل الشرف
على حيفا ، وكان قديماً فى الإسلام يعرف بمسجد سعد الدولة .
وكرمل قرية فى آخر حدود الجليل من ناحية فلسطين (معجم
البلدان ج ٧ - ٢٤٤) والكرمل هو اسم الجبل الذى بنى
عليه الحصن .

ومن القلاع التى اشتهرت فى المروب العمليية قلعة «كوكب»
وهى على الجبل المطال على مدينة طبرية . ويقول ياقوت أنها حصينة
رمينة تشرف على الأردن انتصحتها صلاح الدين فيما افتتحه من
البلاد ثم خربت بعد ذلك .

وقد جاء ذكرها فى الأناجيل (١ - ٣١٦) وقال إن
السلطان صلاح الدين حاصر ما سنة ٥٨٤ وقاتل أهلها أشد حصار
وهدم غالب بناها وملكها وعرض القلعة على جماعته فلم يقبلوها
فولاهما قائماز النجمى على كره منه . .

أما المواقع فأشهرها أجنادين^(١) وحطين ، وقد ذكرهما ياقوت
فقال من الأول (أجنادين) وقد تكسر الدال وقطع النون
بلفظ الجمع ، وأكثر أصحاب الحديث يقولون أنه بلفظ التثنية ،
ومن المسلمين من يقوله بلفظ الجمع ، وهو موضع معروف بالشام
من نواحي فلسطين . وفى كتاب أبى حنيفة السيرى أن أجنادين
من الرملة من كورة بيت جبرين كانت به وقعة بين المسلمين
والروم مشهورة - وقالت اللبابة بأخبار الفتوح شهد يوم
أجنادين مائة ألف من الروم سرب هرقل أكثرهم وتجمع الباقى
من النواحي وهرقل يومنذ بمحصن فقاتلوا المسلمين قتالا شديداً

(١) هى الآن خربتان بالقرب من الرملة تعرفان بقرية الجنابة القوت
والصحا ولد بينهما القتلون يقولون «الجنابين» وما بين زكريا
وبيت جبرين .

ومن المواقع المرمية الأخرى موقعة (مرية) أوقع بها أبو أملة الجاهل
بالروم وكانت به وقعة للمسلمين مع الروم أول الفتح :

قال أبو سليمان الأسدي

أبونا رسول الله وابن خليله بره يوانا نعم المركب
أبونا الذى لم تركب الجبل لبسه ولم يدر شيخ ليه كيف يركب
وقال أسد بن الجاهل :

وعرية أرض جدق الدرأهنا كما جدق فى شرب الفناج ظناه
(ياقوت ٦ - ١٢٨) . ووقعة الطواجين بين خازويه بن والمختد
سنة ٧٢١ هـ . وم قرب الرملة .

جهة الشام وآخرها الحشبي متمدة برمال تيه بنى إسرائيل وكامها
رمال سائقة بيض في غربها منقطع نحو الشمال بحر الشام وفي
شرقها منقطع نحو الجنوب بحر القلزم (البحر الأحمر) وسميت
القفار لكثرة الجفار بأرضها ولا شرب لكانها إلا منها رأيتها
مراراً. ويؤمنون أنها كانت كورة جلية في أيام الفراعنة إلى السنة
الرابعة من الهجرة، فيها قرى ومزارع، أما الآن ففيها نخل كثير
ورطب طيب جيد وهو ملك لقوم متفرقين في قرى مصر بأقربه
في أيام لفاحه فيلقونهم، وأيام أدراكه فيجتنونهم، وينزلون بينه
بأهلهم في بيوت من سمف النخل والحلفاء. وفي الجمادة السائلة
إلى مصر عدة مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقه للميشة على
القوازل وهي «رفع والتس والزما والریش والورادة وقطية»
في كل موضع من هذه المواضع عدة دكاكين يشتري منها كل
ما يحتاج السافر إليه ...

قال أبو الحسن للهلبى في كتابه القى أنه لم يزر وكان موته
سنة (٢٨٦ هـ) «وأعيان مدن الحفار الریش ورفج والورادة»
والنخل في جميع الحفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان،
وأهلها يادية متحضرون ولجيمهم في غواهر مدنهم أجنة وأملاك
وأخصاص فيها كثير منهم، يزعمون في الرمل زرعاً ضيفاً
يؤدون فيه الشر، وكذلك يؤخذ من ثمارهم.

ويقطع في وقت من السنة إلى بلد من بحر الروم طير من
السوى يسمونه السرخ «القر» يصيدون منه ماشاء الله ياكلونه
طريا ويقتنونه مملوحاً. ويقطع أيضاً إليهم من بلد الروم على البحر
في وقت من السنة جارح كثير فيصيدون منه الشواهي والصقور
والبواشق، وقلما يقدرون على البازي. وليس لسقودم وشواهيهم
من القراة ما ليواشقمهم ...

وليس يحتاجون لكثرة اجنتهم إلى الحراس لأنه لا يقدر
أحد منهم أن يدو على أحد، لأن الرجل منهم إذا أنكر شيئاً
من حال جنانه نظر إلى الوطاء في الرمل، ثم قفا ذلك إلى مسيرة
يوم ويومين حتى يلحق من سرقة. وركز بعضهم أنهم يعرفون
أرطاء الشباب من الشيخ والأبيض من الأسود والمرأة من
الرجل والسائق من العيب؛ فإن كان هنا حقاً فهو من أعجب العجائب.

(معجم البلدان ٣ - ١١٣)

أحمد صالح الخالدي

كما نسب إليها جعفر محمد بن أبي علي المطيني وغيرهم وكان
زاهداً فقهياً مدرساً يفتقر كل ثلاثة أيام ويستمر كل يوم ثلاث
ساعات، وبلغ على المستقيمين عدة دروس، ولم يدخر شيئاً. وكان
يزور رسول الله كل سنة حافياً، ويزور ابن عباس بالطائف،
واستشهد في مكة في وقعة وقتت بين أهل السنة والشيعة، فحمله
أميرها محمد بن أبي هاشم فضربه ضرباً شديداً على كبر السن ثم
حمل إلى منزله فعاش بعد انصراب أياماً ثم مات سنة (٤٧٢ هـ)
(معجم البلدان ٣ - ٢٩٨). (وشذرات الذهب ٣ - ٣٤٢)
وقد وصف لنا ياقوت بعض مواقع في فلسطين منها النواقر،
والنور، والجارة. أما النواقر وهي معروفة الآن بالناقورة^(١)
ففرجة في جبل بين مكة وصور على ساحل بحر الشام. قيل إن الإسكندر
أراد السير على طريق الساحل إلى مصر ومنها إلى العراق فقبل له
إن هذا الجبل يحول بينك وبين الساحل فنقر ذلك الجبل وأصلح
الطريق فيه فذلك سمي بالنواقر. (معجم البلدان ٨ - ٤٢٠)
وقال من النور إنه منخفض من أرض دمشق والبيت المقدس
وفيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبجربتها
ومنها مأخذ مياهها. وأشهر بلادها بيسان بد طبرية وهو وخب
شديد الحر، غير طيب الماء، وأكثر ما يزرع فيه تصب السكر.
ومن قرأه أريحا، وفي طرفه الغربي «الجنوبي» البحيرة المنتنة
وفي طرفه الشرقي «الشمال» بحيرة طبرية. (معجم البلدان
٦ - ٣١٢)

ويصف لنا ياقوت الزيف الفلسطيني بين رفح وغزة فيقول
إن بينهما ثمانية عشر ميلاً. وعلى ثلاثة من رفح من جنب غزة
شجر جيز مصطف من جانبي الطريق من اليمين والشمال محرفان
شجرة متملة أعصاب بعضها يحض مسيرة نحو ميلين، وهناك
منقطع دمل الحفار ويقع المسافرون في الجلد. وما زال المسافر بين
غزة وخن يونس يرى أشجار الجيز الباسقة هذه.

أما الحفار وهي ما يعرف بالنجب الآن (أو قضاء بحر النسيج
بالاصطلاح الإداري) فهي بين فلسطين ومصر أولها رفح من

(١) هي جبل رمال طبرية جيبى، معروف على البحر، كانت
تمتازة الدواب بكل مقلعة، لكي أن تحت جيوش الحلفاء طريقاً معبداً فيه
في الحرب الأولى. وأصبحت النواقر فيما بعد الحد الفاصل بين لبنان وفلسطين